

مختصر ابن كثير

36 - إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم .

- 37 - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم .
يقول تعال آمرا عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الإنكفاف من المحارم وترك المنهيات وقد قال بعدها { وابتغوا إليه الوسيلة } قال ابن عباس : أي القربة وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقد ثبت في صحيح البخاري عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة " .

(حديث آخر) : في صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة " .

(حديث آخر) : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا صليتم علي فسلوا لي الوسيلة " قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : " أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلى رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو " (رواه أحمد والترمذي) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سلوا الله لي الوسيلة فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة " .

وقوله تعالى : { وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون } لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم .
والتاركين للدين القويم ورغبتهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة الحسنة مناظرها الطيبة مساكنها التي من سكنها ينعم لا ييأس ويحيى لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال : { إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه

ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم { أي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً وبمثلته ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به وتيقن وصوله إليه ما تقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص ولا مناص ولهذا قال .

{ ولهم عذاب أليم } أي موجه { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم } كما قال تعالى : كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها { الآية .

فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم إلى ذلك كلما رفعهم الله فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسفلها { ولهم عذاب مقيم } أي دائم مستمر لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعتك ؟

فيقول شر مضجع فيقال له تفتدي بقراب الأرض ذهباً ؟ قال فيقول : نعم يا رب فيقول الله تعالى : كذبت قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل فيؤمر به إلى النار " (رواه مسلم والنسائي عن

أنس بن مالك مرفوعاً) وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة " قال : فقلت لجابر بن عبد الله يقول الله { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها } قال : أتأول الآية { إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به { الآية ألا إنهم الذين كفروا (رواه الحافظ ابن مردويه

(وعن طلق بن حبيب قال : كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار فقال : يا طلق أترأى أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني ؟ إن الذين قرأتهم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً فعذبوا ثم أخرجوا منها ثم أهوى بيديه إلى أذنيه فقال : صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يخرجون من النار بعدما دخلوا " ونحن نقرأ كما قرأت . رواه ابن مردويه